الدليل السادس
المغيبات والرسول

إن القارئ المتفحص للحقيقة في القرآن ، يلمح أخباراً تاريخية قديمة وحديثة ، وقد ظهرت تلك الأنباء بشكل واضح جلي مفصل ، وبنظرة خاطفة لمجموعة هذه الأخبار الماضية ، ترى واقعيتها ، وكأنها مشاهدة . علماً بأن التاريخ لم يكن واضحاً معلوماً ، فهل كان محمد آنذاك بحيث يرى المعطيات التاريخية رأي العين ليصفها كما شاهدها ، أو كانت لديه الآثار الكافية ليصف تلك الحوادث ، أو هو تصور شاعر ذي خيال خصب ، أو ورث كتب الأولين وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها !!

فلا نقول : إن معرفة بعض أسماء الأنبياء ، والأمم الماضية ، ومعرفة مجمل ما جرى من حوادث على أقوام عاد وثمود ، هو العجيب أن يعرفه هذا الرجل العربي الأصيل ، بل كان هذا معروفاً عند البدو والحضر ، ولكننا ننظر إلى هذه التفاصيل الدقيقة ، والكنوز الدفينة في بطون الكتب ، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين العرب ، وما محمد إلا رجل منهم ، فاقرأ ما كتب

في التوراة والإنجيل عن أهل الكهف ومدة نومهم تجد : أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، وهذه السنون التسع هي فرق السنين الشمسية والقمرية ، فانظر إلى هذا الحساب الدقيق عن رجل أمي لا يكتب ولا يحسب فأنى له ذلك ؟

نعم إنها لعجيبة حقاً ! رجل أمي بين أظهر قوم أميين ، يحضر مجالسهم ـ في غير الباطل والفجور ـ ويعيش معيشتهم مشغولاً برزق نفسه وزوجه وعياله ، راعياً بالأجر ، أو تاجراً بالأجر لا صلة له بالعلم ، ولا بالعلماء يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره ، ثم يطلع علينا بين عشية وضحاها ، فيكلم الناس بما لا عهد لهم به ، في سالف حياته وبما لم يحدث به أحداً قبل ذلك . . ويبدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في دفاترهم . . . ولو كان يدرس متدرجاً منذ يفاعة سنه لظهر هذا في سمات واضحة عبر مقدمات حياته ، ولعرف في هذا بين عشيرته التي ترتقب كل جيد وترمي بعيونها كل غاد ورائح ، وترمق ببصرها كل حركة ولقاء وبحث . . .

فهل لعاقل منصف أن يقر بصدور هذه المجموعة من الأخبار من رجل عاش طيلة حياته في مكة بين وديانها راعياً ، وفي أميته ثاوياً ، ولا يعرف عن الأمم السالفة إلا ما يعرفه أقرانه من الأميين . . . ولا شك أن مجموعة هذه الأخبار قد جاءت من مصدر

غير ذاته ومن دائرة معارف ، دقيقة في تمحيصها ، لديها الامكانيات الكثيرة ، وذلك في عصر لا قيمة للتاريخ فيه . . .

ولا يمكن لفرد أن يصل بجهوده الفردية وفكره المتوثب إلى النتيجة التي وصل إليها رسول الله . . ونحن الآن نشاهد البعثات تلو البعثات تذهب للتحري عن موضع تاريخ أو حجر أثر فلا تصل إليه إلا بعد جهد جهيد وامكانيات ضخمة ، وقدرات عالمية . . . ولا شك أن الجاهلين الذين عارضوا محمداً في بداية دعوته ، وعللوا هذه الظاهرة العجيبة بفهم رائع ، ومنطق أسلم من تعليل الكثير من المثقفين الملحدين في عصرنا الحاضر . . .

فقالوا : إنما هي دروس أمليت عليه ، وأكب على فهمها فعلم منها ما لم يعلمه . . . ولذا جاء القرآن واصفاً حجتهم :

﴿ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ﴾[1] .

ووصفوا هذه الأنباء حسب ما يمليه حقدهم بأنها أساطير الأولين وقد وصف القرآن قولهم .

﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ [الفرقان : ٥] .

فأجابهم الرسول على لسان القرآن .

---

(١) الأنعام/ ١٠٥ .

﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ .

وكذلك بقوله :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء : ٨٠] .

وكذلك بقوله :

﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ [العنكبوت : ٤٧] .

وقل لهم يا محمد :

﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ [الذاريات : ٢٥] .

ولقد صدق كفار قريش من حيث لا يشعرون بقولهم إنه درسها . . . نعم لقد درسها على جبريل واكتتبها من صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برزة ، وبهذا علمه القرآن وأمره بإخبارهم عن الحقيقة ، وإنما هو بشر لا يعلم شيئاً عن الشريعة قبل الوحي ولا يعرف الحوادث بهذا التفصيل : وقال لهم :

﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم

عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ [يونس : ١٦] .

إذن : كل هذه الأخبار القديمة ما هي إلا منقولة ولا سبيل للشخصية المحمدية في اختلاقها وأنى لمحمد هذا النقل الدقيق ؟ . . علماً بأن المكتبات لم تكن موجودة . . . وما دونت هذه الأخبار . . . وقد بحثنا بشكل مفصل عدم وجود معلم لرسول الله سوى الوحي . . . فلا شك بأنه المصدر الوحيد لمجموعة هذه الأخبار وفي هذه الآيات توكيد على مشاركة الوحي في نقل هذه الأخبار الماضية إليه :

﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل ﴾ [هود : ٢٩] .

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ [يوسف : ٣] .

﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾[١] .

﴿ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾[٢] .

﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾[٣] .

---

(١) آل عمران/ ٢٤ .
(٢) يوسف/ ١٠٢ .
(٣) القصص/ ٤٤ .

هذه أخبار قد جاءت عن أمم ماضيه ، والعجب الأكبر هو الإخبار عما سيحصل في المستقبل وهل يعقل من رجل يحترم نفسه أن يتكلم عن المغيبات ، ومن ثم يطلب من الناس أن يصدقوه ولا يخشى أن يخيب الغيب ظنه ويتركه في كذبه ، وتنقلب عليه الظروف ، وهل يتجرأ ذو العقل أن يتخذ من تجاربه الماضية مصباحاً يكشف عن ضوئها بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة ، جاعلاً الشاهد من هذه مقياساً للغائب من تلك ، ثم يصدر فيها حكمه محاطاً بكل تحفظ وحذر قائلاً (ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو سارت الأمور على طبيعتها ، ولم يقع ما ليس في الحسبان) . أما أن يبت الحكم بتاً ويحدده تحديداً حتى فيما لا تدل عليه مقدمة من المقدمات العلمية ، ولا تلوح منه أمارة من الأمارات العادية فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين : إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول للناس كلاماً فيه صدق أو كذب ، ذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين والمنجمين . وإما رجل اتخذ عند الله عهداً ، فلن يخلف الله عهده ، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين . ولا ثالث لهما إلا رجل يروي أخباره عن واحد منهما . فأي الرجل تراه في صاحب هذا القرآن حينما يجيء على لسانه الخبر الجازم بما سيقع بعد عام وما سيقع في أعوام ، وما سيكون خالداً أبد الدهر ؟ ذلك وهو لم يتعاط علم العرافة والتنجيم ولا كانت أخلاقه كأخلاقهم ، ولا كانت أخباره كأخبارهم

خليطاً من الصدق والكذب ، والصواب والخطأ ، بل كان مع براءته من علم الغيب وقعوده عن طلبه وتكلفه ، يجيئه عفواً ما تعجز صروف الدهر وتقلباته في الأحقاب المتطاولة أن تنقص حرفاً واحداً مما ينبئ به .

﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤١] .

ولنسرد لك ها هنا بعض النبوءات القرآنية من جنس ما توحي به الفراسة والألمعية . . .

١ ـ ما جاء في سورة الروم

﴿ ألَم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . . . ﴾ .

الحادثة : جرى جدال بين المسلمين والمشركين في مكة قبيل الهجرة ، فقال القرشيون سنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، وأرادوا بذلك إبطال زعم المسلمين بالغلبة على كفار قريش بكتاب الله الذي أنزل عليهم . . . وأجروا القياس قائلين : إننا لنرى الفرس وهم مجوس قد غلبوا الروم وهم أهل كتاب . . . فنزلت الآية لترد على قريش :

﴿ألَم غلبت الروم . . . ﴾ .

ولقد جاءت الأخبار لتعلمنا بأن النصر كائن لا محالة ، وقد

حدث في وقت بعيد عن متناول الظنون ، وذلك أن دولة الروم كانت قد بلغت من الضعف حداً يكفي من دلائله أنها غزيت في عقر دارها ، وهزمت في بلادها وكما جاء في القرآن ﴿ في أدنى الأرض ﴾ فلم يكن أحد يظن أنها ستقوم لها بعد ذلك قائمة فضلاً عن أن يحدد الوقت الذي سيكون لها فيه النصر ، ولذا كذب به المشركون ، اعتقاداً منهم على قرينة الحال ، والحاضر الممزق لواقع الروم ، وهذا جعل القرشيين يتحدون المسلمين فتراهنوا على تكذيب القرآن . . وإذ بالقرآن يؤكد هذا الوعد ويعزز هذه الأخبار بالغيب بقوله :

﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ .

إشارة إلى أن اليوم الذي سيكون فيه النصر هناك للروم على الفرس سيقع فيه ها هنا نصر للمسلمين على المشركين ، وإذا كان كل واحد من النصرين في حد ذاته مستبعداً عن الناس أشد الاستبعاد ، فكيف الظن بوقوعهما مقترنين في يوم واحد . .؟ ولذلك أكده مرة ثالثة أعظم التأكيد بقوله :

﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

ولقد صدق الله وعده ، فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين وإن عدم تعيين يوم النصر بالذات

في القرآن مع القدرة عليه ، لاختلاف الحساب بين الأقوام المتعددة ، فمنهم من يحسب حسب التقويم الشمسي ، ومنهم من يحسب حسب التقويم القمري ولذا تركها أقوى للحجة ، وكان يوم نصر الروم هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى[1] .

٢ ـ ومن الأخبار الغيبية المتوقعة في القرآن ، التي أخبر بها قبل وقوعها ثم حدثت بعد ذلك هذه الآية :

﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ [القمر : ٤٥] .

لقد نزلت هذه الآية فتداولها المسلمون بينهم وهم مضطهدون في مكة ، وقريش تصول وتجول ، ولم يفهمها الصحابة حتى إن عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية جعل يقول: أي جمع هذا ؟ قال فلما كان يوم بدر ، رأيت رسول الله ﷺ يقولها فعرفت ذلك . . علماً بأن الآية نزلت والضعف يخيم على المسلمين في مكة ، ولا مجال للحرب ولا لالتقاء الجمع ، فأنى لمحمد أن يبشر من خلجات نفسه بهذه البشرى ، وهو لا يدري ماذا سيحل به بعد ساعات ؟ ثم أنى لعاقل أن يبشر قومه دون مشاهدة مقدمات دالة على صدق هذه البشائر . . إنه تنزيل العليم الخبير . .

---

(١) كما رواه الترمذي عن أبي سعيد ورواه الطبراني عن ابن عباس .

ولا بأس أن نأتي بأخبار فردية ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ .

ونزلت هذه الآية بحق الوليد بن المغيرة وهو من أشراف مكة ، لأنه حاول إصدار التهم والكيد فهدد بهذا ، وقد جاءت الأخبار الصادقة ، أنه أصيب بالسيف في أنفه يوم بدر ، وكانت ذلك علامة له يعير بها ما عاش . . كل هذه كانت غيبيات قرآنية ، ليس لمحمد فيها شيء بل كان يؤكد دائماً ما قاله تعالى بحقه : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ [الأنعام : ٥١] .

٣ ـ وهذا شاهد رائع وهو وصف غيبي لا دخل للشخصية المحمدية فيه ، وهو عندما أتى للعمرة وردَّ في سنته وجرى صلح الحديبية بين المسلمين والمشركين ووعد الله المسلمين وعداً قاطعاً . . . فهل يا ترى أخلف الله المؤمنين ما وعدهم عام الحديبية في دخول المسجد الحرام وتبديلهم الأمن بعد خوفهم ، وتحليق رؤوسهم وتقصيرها قضاء للشعيرة ، كما قال تعالى :

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ﴾ [الفتح : ٢٢] .

وبالفعل تحقق ذلك كله . . وأنى لبشر أن يلقي هذه الضمانات ويطلقها جزافاً ، إنه الوحي الصادق الذي تتكشف له حجب الغيب فيعلنها صريحة . . . !!

٤ ـ ومما ذكرنا وهو من أعجب العجب ، أن يضمن الله لنبيه حماية شخصه وعصمته من أذى الناس مع أن الراغبين في قتله كانوا يحيطون به من كل جانب؛ وقد بحثنا هذا الموضوع بشكل خاص في قوله :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإلا تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ . . .

٥ ـ ولما اشتد الخصام بين النبي ﷺ وأهل مكة ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف : فانظر ما قاله القرآن في جواب هذا الدعاء .

﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس ، هذا عذاب أليم ﴾[1] .

فماذا جرى بعد ذلك ؟ . . لقد أصابهم القحط حتى أكلوا العظام ، وصار الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد[2] ثم تتابعت الآيات .

---

(١) سورة ٤٤ الآية ١٠ .

(٢) رواه البخاري عن ابن مسعود .

﴿ إنا كاشفو العذاب قليلاً ، إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ .

فالمتابع لتاريخ مكة في تلك الظروف يرى تحقق هذه النبوءات الثلاث وهي : كشف البؤس عنهم ، ثم عودتهم إلى مكرهم السَّيِّئ ؛ ثم الانتقام منهم بعد ذلك ، وقد كان ذلك كله كما جاء في الرواية الصحيحة للحديث المذكور لهذا الأمر . . . فإن قريشاً قد جاءت إلى رسول الله تستسقي وتتضرع إلى الله .

﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ .

فهل يستطيع رسول الله أن يتصرف في الطبيعة ويسيرها كما يشاء ويأتيهم بكل ذلك واضحاً جلياً ليهددهم . . ألم يعقل أنه إن لم يتحقق ذلك كان فيه انحطاط للرسالة التي جاء بها ، ولكنها ثقة بالمصرف لهذا الكون إنه الوحي . ونزلت بعد ذلك آيات فيها الوعد للرسول وتبيان نهاية اليهود في المدينة ، ويتبصر القارئ لها القدرة على التحقيق ، وصدق الوعد ، وعمق النظر . . انظر كيف يقول الله تعالى :

﴿ لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ [آل عمران : ١١١] .

وقد جرى ذلك في الغزوات المتعددة وولوا الأدبار ولم ينصروا في معاركهم كلها ، فهزموا في معركة بني قريظة ومعركة بني

النضير . . وبني قنيقاع . . ثم يقول أيضاً في حقهم :

﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ .

٦ ـ انظر إلى هذه الآيات التي نزلت في أوقات عصيبة ، والكفر يصول ويجول والحق مهدد وإذ بالقرآن ينبئهم بما سيكون لهم من الخلافة والملك ، علاوة على الأمن والاطمئنان فما هذا ؟ . . أأحلام . . ؟ وأماني . . ؟ لا بل نشاهد وعداً مؤكداً بالقسم .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ [سورة النور : ٥٥] .

ومما رواه الحاكم وصحح عن أبي بن كعب قال : لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا : أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ، فنزلت الآية ﴿ وعد الله . . . ﴾ وقيل إنها نزلت (الآية) ونحن (أي الصحابة) في خوف شديد . .

فانظر كيف جاء تأويلها على أوسع معانيها في عصر الصحابة أنفسهم الذين وقع لهم خطاب المشافهة في قوله (منكم) فبدلوا من

بعد خوفهم أمناً لا خوف فيه واستخلفوا في أقطار الأرض فورثوا مشارقها ومغاربها .

وتأمل قوله في هذه الآية ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ ثم انظر إلى معناها في الآية الأخرى التي توضح معنى الصالحات :

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾[1] .

فنجد في هذه الآيات قوانين عامة اجتماعية تقرر وتبين سر ما يبتلى به المؤمنون أحياناً من انتقاص أرضهم ، وتسلط الأعداء عليهم ، وذلك ضمن قانون إلهي مدبر . .

﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

إنه القانون الإلهي في الحياة الاجتماعية وهو قانون غيبي قد أدركته الأمم في عصرنا ولا يمكن لأمي من أمة جاهلة أن يكشف المغيبات ، ولكنه وحي السماء الذي بيَّنه قوله تعالى :

﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الأنفال : ٥٣] .

---

(١) الحج/ ٤٠ .

وبعد أن ناقشنا المغيبات في كتاب الله علينا أن نتحرى المغيبات في الأحاديث ولو أن الرسول لا يمكنه معرفة الغيب إلا بأمر الله عز وجل وكان يردد :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ [الكهف : ٤٠] .

وكذلك ﴿ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . . . ﴾ .

وقد أطلعه الله على بعض المغيبات منها :

١ ـ بشر الصحابة بأنهم سيفتحون بلاد الشام والعراق ومصر وبلاد فارس والتاريخ أثبت ذلك ، وقال الرسول ﷺ في هذا : إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي فيها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامة .

٢ ـ لقد بشر الرسول سراقة بن مالك بارتداء لباس كسرى وسواره حين تابعه أثناء الهجرة ولم يستطع اللحاق به . . . وأخبر الرسول بأن قومه قد جعلوا فيه الدية ؛ وأعلمه عن كل ما يحاك حوله وطلب منه وثيقة أمان فبشره عند ذلك وأعطاه وثيقة الأمان ، وتحققت البشرى ولبس رداء كسرى في زمان عمر الفاروق .

٣ ـ ومن المغيبات التي تحدث عنها الرسول ووقعت ما رواه عدي بن حاتم قال : بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا

إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها . فقال إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، قلت في نفسي فأين دیار طيِّئ الذين سعروا في البلاد ؟؟ . . ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز !! . .[1] .

قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف البيت لا تخاف إلا الله وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز . .

يا للعجب . . كيف يتحقق ذلك ؟ وإن هذا الخبر . . إما أن يكون رؤيا وإما أن يكون راويه إنسان غير عادي . . وأما بالنسبة لصحة الخبر . . فهو صحيح موثوق لأن رواته من أصدق الرواة ولا يمكن أن نشك في رواية البخاري ، وإذا أراد الإنسان أن يكابر في الحق فلا تاريخ موثوق بعد البخاري وروايته . . وإذا وصلنا إلى صدق رواية البخاري . . . فلا يمكن أن يتحقق ذلك إلا لرسول . . . يوحى إليه . . .

٤ ـ إن التنبؤات التي أخبر بها الرسول عن العصور القادمة لواقع المسلمين لتثبت صدق نبوته ، فحديثه عن واقع المسلمين

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٤٧٧/ ٤٧٩ .

المتخلف وتمزقهم يبين ذلك بقوله : يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أعن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : لا بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ويصيبكم الوهن قالوا : وما الوهن يا رسول الله ، قال : حب الدنيا وكراهية الموت . وهذا ما شاهدناه في نهاية العصر العباسي وهجوم المغول والتتر ، وانقضاض الصليبيين على الربوع العربية والإسلامية وما نراه الآن في العقود الأولى للقرن العشرين من تكالب الاستعمار على البلاد العربية والإسلامية وقد جاء هذا شاهداً أخيراً على صدق نبوة محمد وأنه ليصف لنا واقعنا وكيف الخروج منه ويرشدنا للدواء الناجع لاستعادة قوتنا ونهضتنا .

٥ ـ ويروى أنه جاءه شخص يدعى الجارود من وفد عبد القيس فقال له : إن كنت نبياً فاخبرني عما أضمرت ، قيل إن الرسول خفق خفقة كما لو كانت سنة من النوم الخاطف ؛ ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه ـ وهذه صفته عندما كان ينزل عليه الوحي ـ ثم أجابه بما أضمر قائلاً : إنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ، ألا وإن دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الإسلام ألا وإن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة . .

٦ ـ وفي أحد الأيام كان رسول الله ﷺ جالساً مع نسائه فإذا به

يتغير لونه ولبث فترة ثم قال كلاماً خفياً فيه شيْ من الحياء والمرارة ، ولا يحب أن يصرح بكل ما علم : فقال كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب ثم أشار إلى عائشة واستطرد قائلاً : فإياك أن تكونيها أنت يا حميراء . . .

ولا شك أنه استكشف الغيب بشكل واضح وجلي ؛ ولكنه أشار إلى عائشة رضي الله عنها بأسلوب أدبي ، وهذا لا يصدر إلا من نفس عالية . .

وفي الحقيقة بعد وفاة الرسول ﷺ بسنوات عديدة ، وفي خلافة علي بن أبي طالب خرجت عائشة تعارضه ونفرت من مكة إلى البصرة ، وفي طريقها عند مكان يسمى (الحوأب) نبحت الكلاب عند مرور القافلة فتطيرت عائشة وقالت : أين نحن ؟ فرد عليها محمد بن طلحة . . عند ماء الحوأب . . فصرخت وقالت : ماء الحوأب إنا لله وإن إليه راجعون ردوني ردوني . . فقد تذكرت تلك الإشارة التي أشار لها النبي حين كان حياً وفهمت تفسيرها الآن وأرادت الانصياع لأمره وندمت على فعلتها وتصورته واقفاً أمامها يقول لها : إياك أن تكونيها أيتها الحميراء . . فضربت بعيرها في اتجاه مكة وهي تصرخ . . أنا والله صاحبة كلاب الحوأب . .

خـ ـ وقد قص الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) أمثلة كثيرة لإخبار الرسول عن المغيبات قال : وأنذر عثمان بأن

تصيبه بلوى بعدها الجنة ، وبأن عماراً تقتله الفئة الباغية ، وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين وأخبر عليه الصلاة والسلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه . .

وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله . . وقال الرسول ﷺ زاجراً الأمة ، مبيناً للفرقة التي ستحصل . . لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . .

وبعد كل هذه المغيبات نرى أنها تحققت جميعاً ، وأظهر الله دينه وأيقن الجميع بصدق نبوة الرسول . . وقال تعالى :

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [التوبة : ٣٣] .

وبين الله تعالى صورة الكفر التي تجمعت ضد الباطل في قوله تعالى :

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وقد أتم الله نوره وكملت الشريعة التي ارتضاها الله لعباده . . .

فانظر إلى عجيب شأن هذه النبوءات كيف تقتحم حجب المستقبل قريباً وبعيداً وتتحكم في طبيعة الحوادث توقيتاً وتأييداً ،

وكيف يكون الدهر مصدقاً لها طال أو قصر وفيما قرب وبعد . . ؟

بل انظر إلى مجمل ما في القرآن من الأخبار ترى فيها من الحوادث التي تناولت الماضي السحيق ، والمستقبل الغامض ما يكشف لنا كونها فوق حس النبي وعقله ، وهي أنباء ما كان وما سيكون ، وكيف أنه كلما حدثنا فيها عن الماضي صدقته شواهد التاريخ ؛ وكلما حدّثنا عن المستقبل صدقته الليالي والأيام ، وكلما حدثنا عن الله وملائكته وشؤون الغيب صدقته العقول السليمة وأتى البرهان ساطعاً بيناً . . !!

ثم اسأل نفسك السؤال الأخير . . أيعقل من رجل أمي أن يأتي بهذا الحديث كله من بنات أفكاره ؟ . . والجواب البدهي : أنه لا شك قد استقاه من مصدر علمي وثيق واعتمد فيه على اطلاع واسع ودرس دقيق ، ولا يمكن أن تكون هذه الأنباء كلها وليدة عقله وثمرة ذكائه وعبقريته . . وإلا أين أمثال هذا العبقري الذكي الذي أعطاه الدهر عهداً بأن يكون عاصماً لظنونه كلها من الخطأ في كشف وقائع الماضي مهما قدم وأنباء المستقبل مهما بعد . .

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[1] .

إنه النبي وليس العبقري ، إنه المرسل وليس كبقية المصلحين

---

(١) الأنعام/ ٦٧ .

وما عبقريته إلا ومضة من قبس النبوة ، وما إصلاحه في المجتمع الذي عاش فيه إلا بانعكاس ظلال هدى الشريعة السمحة التي جاء بها هادياً وبشيراً ونذيراً . .